مجلة اللغة العربية والعلوم الإسلامية المجلد (3) العدد(12)– ديسمبر 2024م
الترقيم الدولي للنسخة المطبوعة: X 145–2812 الترقيم الدولي للنسخة الإلكترونية: 2812– 5428
الموقع الإلكتروني: https://jlais.journals.ekb.eng

مجالس العلماء والفقهاء في الحجاز زمن الدولتين الطولونية والإخشيديَّة - (254 - 358هـ / 868 - 969م)

أ/ أحمد ميمي عدلي حسن
باحث ماجستير بقسم التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية
كلية دار العلوم – جامعة الفيوم

Journal of Arabic Language and Islamic Science Vol (3) Issue (12)- Des2024
Printed ISSN:2812-541x On Line ISSN:2812-5428
Website: https://jlais.journals.ekb.eg/

مجالس العلماء والفقهاء في الحجاز زمن الدولتين الطولونية والإخشيديَّة – (254 – 358هـ / 868 – 969م)

أ/ أحمد ميمي عدلي حسن

باحث ماجستير بقسم التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية

كلية دار العلوم – جامعة الفيوم

ملخص البحث:

يتناول البحث "مجالس العلماء والفقهاء في الحجاز زمن الدولتين الطولونية والإخشيدية" (254–358هـ/868–969م)، ودور هذه المجالس العلمية في نشر العلوم الدينية والثقافية بالحجاز، مركِّزًا على أهميتها كمحاضن علمية في المساجد الكبرى، مثل الحرم المكي، والمسجد النبوي. يستعرض البحث أبرز العلماء الذين أسهموا في تلك المجالس، مثل سفيان بن عيينة والإمام مالك، ودورهم في تعليم الفقه والحديث والتفسير. كما يناقش تأثير الأوضاع السياسية والاجتماعية على النشاط العلمي، ويوضح كيف حافظ الحجاز على مكانته كمركز علمي متميز، مسهمًا في نقل التراث الإسلامي بين الأجيال رغم التحديات.

الكلمات المفتاحية:

مجالس العلماء، بلاد الحجاز، الدولة الطولونية، الدولة الإخشيدية.

Abstract

The research titled *"Scholars' and Jurists' Assemblies in the Hejaz during the Tulunid and Ikhshidid Periods"* (254–358 AH/868–969 CE) examines the role of these scholarly gatherings in disseminating religious and cultural knowledge in the Hejaz. It focuses on their significance as academic hubs located in major mosques, such as the Grand Mosque in Mecca and the Prophet's Mosque in Medina. The study highlights key scholars who contributed to these assemblies, including Sufyan ibn Uyaynah and Imam Malik, and their roles in

teaching jurisprudence, Hadith, and exegesis. Additionally, it explores the impact of political and social conditions on scholarly activity and illustrates how the Hejaz maintained its status as a distinguished center of Islamic learning, ensuring the transmission of Islamic heritage across generations despite various challenges.

Keywords:
Scholars' Assemblies, Hejaz, Tulunid Dynasty, Ikhshidid Dynasty.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله – صلى الله عليه وسلم – تسليماً كثيراً.

أَمَّا بَعْدُ:

كان العلماءُ يَعقِدون المجالس العِلميَّة والثقافيَّة في المساجد، فلم تكن مساجد إقليم الحِجاز في القرن الثالث الهجري والقرون التي تليه لتأدية الشعائر الدينيَّة أو للصلاة فقط، ولكن تَعدَّدت أغراضها وأهدافها، وهذا اجتهاد له ما يدعمُه؛ حيث كانت تُمثِّل أماكن التقاضي، ومدارس لتعليم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، ومُنتدى العلماء، يَعقِدون فيها مجالس العِلْم والفِقْه، لتعليم المسلمين وتَفْقيهم في أمور الشريعة الإسلاميَّة السمحة الغرَّاء، وكان العالِم يَقوم مقام المُدرِّس، ويحضر حلقتَه جميع أفراد وطبقات المجتمع دون تمييز أو تَفرقة، فيشرح لهم المسائل الفقهيَّة والمسائل الشرعيَّة، ويجيب عن الأسئلة التي تُوجَّه إليه[1].

والجدير بالذِّكْر أنَّ التعليم كان محدودًا، وفي نِطاق غير واسع، ويدُلُّنا

---

[1] ابن كَثِير (الحافظ عماد الدين إسماعيل بن عمر، ت: 774هـ): البداية والنهاية، بيروت، دار صادر، ط6، 1985م، ج8، ص 301.

على ذلك أنَّ الرحالة والمؤرخين الذين قرأْنا مؤلَّفاتهم لم يَذْكروا لنا شيئًا عن حالة التعليم في بلاد الحِجاز مع أنهم دوَّنوا الجليل والتافه من مُشاهداتِهم[2].

ومن المنطقي تصوُّر أنَّ العالِم في مكَّة المكرَّمة كان يأخذ مقعده العِلمي في المسجد الحرام؛ حيث يُلقي دروسه العِلميَّة في حلقاته ومجالسه العِلميَّة في علم الحديث، وعلم التفسير، وعلم الفقه[3]. وكان هذا الأمر معمولًا به في المسجد النبوي بالمدينة المنوَّرة[4].

وقد ظهَر لفيفٌ من العلماء الأجِلَّاء في مكَّة المكرَّمة في العصر العباسي الأول سنة (132 - 232هـ/ 750 - 847م)، ولا سيَّما كانت لهم حلقات علميَّة وُجِدت في المسجد الحرام كانت معروفة عند الأهالي (بمجالس العلم)، منهم عددٌ من الفقهاء، مثل: سُفيان الثَّوري، والأوْزاعِي.

ومن أبرز مجالس العلم مجلس سُفيان بن عُيَيْنَة الذي كان يُعَدُّ من أشهر المُحدِّثين في مكَّة المكرَّمة[5]، وقد أخذَ عنه الشافعيُّ، وأخذ عنه أيضًا ابنُ حنبل، ومحمدُ بن إسحاق.

ولقد كان بالمدينة محمد بن عمر الواقِدي شيخ المؤرخين، إن جاز

---

[2] عطية طه عبد العزيز إبراهيم: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في بلاد الحِجاز من القرن الثالث حتى منتصف القرن السادس الهجري، القاهرة، جامعة القاهرة، كلية الآداب، د.ط، 1415هـ، ص313.

[3] أحمد السِّباعي: تاريخ مكة، مكة، مطابع دار قريش، ط3، 1385هـ، ج1، ص 105.

[4] السَّمهُودي (نور الدين علي بن أحمد المصري ت 911هـ): وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، دار النهضة المصرية، د.ط، 1373هـ، ج2، ص 666.

[5] حسن أحمد محمود: العالم الإسلامي في العصر العباسي، بيروت، دار الفكر العربي، ط5، د.ت، ص 258.

التعبير، فقد كان (عالمًا بالسِّيَر والمغازي والفتوح)[6].

وعلى كلِّ حال احتفَظت مدرسة الحِجاز في العصر العباسي الأول بمكانتها المتفوقة في الفقه والحديث، وما يتَّصل بهما من أخبار وسِيَر[7].

وفي هذا الصَّدَد: برز في مكَّة المكرَّمة لفيفٌ من الأعلام في القرن الثالث الهجري، مثل: عبد الله بن كَثِير، وهو من أصل فارسي (ت 391هـ / 903م)، وتجدُر الإشارةُ إلى أنَّ الإمام مالك بن أنس (ت179هـ / 795م)، قد ذاع صِيتُه في المدينة المنوَّرة، فأخذ الطلاب يتردَّدون عليه في المدينة المنوَّرة، يتصلون به، ويَرْوون عنه حتى تتلمَذ على يديه الإمامُ الشافعي[8].

وبذلك ظلَّت حلقات العِلم في مكَّة المكرَّمة، والمدينة المنوَّرة تغصُّ بطلاب العلم من تلاميذ الجيل الذي أسلفنا الحديث عنه، يُضاف إليهم أصحاب مالك والشافعي، ثم أصحاب أحمد بن حنبل، ولمَع بينهم أبو الوليد الأزْرَقي (ت 250هـ / 865م) صاحب أول مؤلف في تاريخ مكَّة وأخبارها[9].

وجديرٌ بالذِّكْر أن الاهتمام بتدوين السُّنَّة في مكَّة المكرَّمة والمدينة المنوَّرة قد بدأ في نهاية القرن الثاني الهجري، وبلغ ذروته في القرن الثالث

---

(6) حسن أحمد محمود: العالم الإسلامي في العصر العباسي، ص 258.

(7) عطية طه عبد العزيز: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في بلاد الحجاز، ص 314.

(8) أحمد السباعي: تاريخ مكة، ج1، ص 167.

(9) انظر ابن النَّدِيم: الفهرست، ص 221، وإسماعيل البغدادي (إسماعيل باشا بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي)، ت: 1339هـ: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، مكتبة المثنى، د.ط، 1951م، ج2، ص 12، والفاسي: العِقد الثمين، ج1، ص 9، وإبراهيم فرغل محمد: أخبار مكَّة لأبي الوليد الأزْرَقي دراسة تحليلية نقدية، د.م، د.ط، 1430هـ / 2009م، ص4، وشاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، د.م، دار العلم للملايين، ط3، 1983م، ج2، ص 206. وعطية طه عبد العزيز: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في بلاد الحجاز، ص 314.

الهجري. وتجدُر الإشارة إلى أنَّ رواتها قد تنبَّهوا إلى وجوب تصنيفِها وتدوينها، ومِن ثَمَّ ضم الأحاديث التي من نوع واحد في الموضوع بعضها إلى بعض كأحاديث الصلاة والصوم، وقد وُجِدت هذه الإشكاليَّة في مكَّة المكرَّمة والمدينة المنوَّرة في وقت واحدٍ حتى لم يُعرَف مَن له فضيلة السَّبق إلى ذلك. فكان من مُدوِّني الطبقة الأولى الإمام العلَّامة مالك بن أنس بالمدينة المنوَّرة، وعبد الله بن عبد العزيز بن جُرَيج بمكَّة، وكان ذلك في أواخر القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي[10].

وقد كان الحديثُ في هذه الكُتُب ممزوجًا بأقوال الصحابة والتابعين، ولقد رأت طبقة ثانية بعد هؤلاء أنْ يُفْرَد حديثُ الرسول ^ عن غيره، فألَّفوا ما يُعرف بالمسانيد، ومِن هؤلاء مُسند نُعَيْم بن أحمد الخُزاعي[11].

فيذكرون في المسند واحدًا مِثل أبي بكر، ويذكرون ما يُروى عنه، ثم غيره[12]. ثم جاء بعد هذه الطبقة طبقةٌ أخرى رأتْ أمامها هذه الثروة، فاختارت منها، مثل: الإمامين الجليلين شيخي السنة؛ البخاري (ت 256هـ / 870م)[13]، ومسلم النَّيْسابوري (261هـ / 875م)[14]، وصنَّفا صحيحيْهِما،

---

[10] محمد الخضري: تاريخ التشريع الإسلامي، القاهرة، المكتبة التجارية، د.ط، د.ت، ص 131.

[11] نُعَيم بن أحمد الخزاعي: نُعَيم بن حماد بن معاوية بن الحارث ابن همَّام بن مسلمة بن مالك الخُزاعي، وُلِد في مَرْوَ، مُحدِّث، وأقام مُدَّة في العراق والحِجاز يطلُب الحديث، ثم سكَن مصر، ولم يَزَلْ فيها إلى أن حُمِل إلى العراق في خلافة المعتصم، وامتُحِن بخلق القرآن، فلم يُجِب وقُيِّد، ومات في الحَبْس، تُوفِّي سنة (228هـ / 844م). انظر الذَّهَبي: سِيَر أعْلام النُّبلاء، ج10، ص 597، وابن حَجَر العَسْقلاني (أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد)، ت: 852هـ: لسان الميزان، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ط2، 1390هـ / 1971م، ج1، ص 187، ومحمد الخضري: تاريخ التشريع الإسلامي، ص 133.

[12] محمد الخضري: تاريخ التشريع الإسلامي، ص133.

[13] الإمام البُخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، وُلِدَ في بُخارَى سنة

بعد أن اتَّفقا في الرواية؛ لذلك يُؤكِّد لنا الدكتور عطية طه عبد العزيز في كتابه (الحياة الاقتصاديَّة والاجتماعية في بلاد الحجاز) أنَّ القرن الثالث يُعَدُّ عصرًا مجيدًا للسُّنَّة[15]. ثم بعد ذلك ما لبِث أن توزَّع أعلامُ مكَّة المكرَّمة والمدينة المنوَّرة في الأمصار؛ ممَّا أدَّى إلى ركود الحركة العِلميَّة فيها في القرن الرابع الهجري حتى كانت علامات الضَّعْف والركود، وقد بدأت تظهر في البلاد، وعلى أيَّة حال ظل الأمر على هذه الإشكاليَّة طيلة القرنين الرابع والخامس

(194هـ / 810م)، أحد كبار الحُفَّاظ من أهم علماء الحديث، وله مُصنَّفات كثيرة أبرزها كتاب (الجامع الصحيح)، المشهور باسم (صحيح البخاري)، نَشَأَ يَتِيمًا، وطَلَبَ العِلْم مُنذ صغره، تُوفِّي سنة (256هـ / 870م). انظر ابن حَجَر العَسْقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار المعرفة، د.ط، 1379هـ، ج1، ص 485، والخَزْرَجِي (بن عبد الله بن أبي الخير بن عبد العليم الخَزْرَجي) ت: 923هـ: خُلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، بيروت: دار البشائر، ط5، 1416هـ، ج1، ص 327، ومحمد محمد أبو زهو: الحديث والمحدثون، د.م، دار الفكر، ط1، 1378هـ / 1985م، ج1، ص 378.

[14] مسلم النَّيْسابُوري: أبو الحسين مسلم بن الحَجَّاج بن مسلم بن ورد بن كوشاذ القُشَيْري النَّيْسابوري، وُلِد في نيسابور سنة (206هـ / 822م)، من أهم علماء الحديث النَّبوي، وهو مصنف كتاب (صحيح مسلم)، أخذ العلم أولًا عن شيوخ بلاده، وسَمِع الكثير من مَرْويَّاتهم، تُوفِّي سنة (261هـ/875م). انظر النَّوَوي (أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي)، ت: 676هـ: تهذيب الأسماء واللُّغَات، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت، ج2، ص 89، والسَّخاوي (الحافظ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن)، ت: 902هـ الإعلان بالتوبيخ لمن ذمَّ أهل التوريخ، تحقيق: سالم بن عنتر بن سالم الظفيري، الرياض، دار الصميعي، ط1، 1438هـ / 2017م، ص 666، ومحمد عبد الرحمن الطوالبة: الإمام مسلم ومنهجه في صحيحه، د.م، دار عمار، ط2، 2000م، ص 27 – 34.

[15] عطية طه عبد العزيز: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في بلاد الحجاز، ص 315.

الهجريين[16].

ويبدو أن مكَّة المكرَّمة لم يظهر فيها إلا بعضُ العلماء من المجاورين، وهم ليسوا من أهل البلاد، توجَّهوا إلى إقليم الحِجاز ينشرون تراتيل الاطمئنان والسلام بعيدًا عن القلاقِل والفِتن والاضطرابات الداخليَّة، ولقد امتلأت هذه الحِقْبة بالاختلافات الدينيَّة؛ فقَوِيت واشتدّت حركة الخوارج ودعوتِهم، وشاعت أقوال المعتزِلة، وانتشرت مذاهب الشِّيعة على اختلاف أنواعها، وكثُر الجدَل والنِّقاش في أمَّهات المُدن بين هذه الفرق بعضها مع بعض من جهة، ومع مناوئيها وكل مَن يُروِّج إليها من جهة أخرى، إلا إقليم الحجاز، فبقي كما هو بعيدًا عن هذه الخلافات؛ لأنَّ علماءها وأهلها لا يَمِيلون إلى غير أصحاب السُّنَّة. وممَّا ساعَد على ذلك حضور هؤلاء المجاورين الحلقات العِلميَّة والدروس في المسجد الحرام والمسجد النبوي[17].

ولقد ظهَر جيل من العلماء في مكَّة خلال القرن الرابع الهجري، وأشهرهم: محمد بن خالد بن يزيد البَرْدَعي نزيل مَكَّة، عُرف عنه أنَّه كان شيخًا مُحدِثًا كثير الرواية في المسجد الحرام، لقي مَصْرعه أثناء هجوم الحركة

---

[16] توجه الرحَّالة الفارسي (ناصر خسرو) وزار إقليم الحِجاز في القرن الخامس الهجري، فشاهَدَ فيها الكثير، وبِناءً على ذلك وَصَفَها لنا بقِلَّة العلم والفقر، وأنَّ علماء بلاد الحِجاز قد هاجروا وتَرَكوها مع مَن هاجَر من أهلها، وأشار إلى أنّ سُكَّان مكَّة المكرمة القاطنين بها في سنة 442هـ لا يزيد عددُهم على ألفين، وذكر أنَّ عددَ المجاورين بها وقدَّرهم بخمسمائة. انظر ناصر خِسرو (ناصر خسرو علوي الفارسي ت: 481هـ): سفرنامة، تحقيق: يحيى الخشاب، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، د.ط، 1945م، ص 77.

[17] ابن فَهْد (نجم الدين عمر بن محمد الهاشمي القرشي، ت: 885هـ): إتحاف الورَى بأخبار أُمِّ القرى، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، مكَّة المكرمة، جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، د.ط، 1403، ج2، ص516 -517.

القُرمطيَّة على مكَّة سنة (317هـ / 929م)[18].

ومنهم أيضًا شيخ الحنَفيَّة في عصره، وقاضي الحرَمين الشريفين، وهو (أحمد بن عمر بن عبد الله النَّيْسابوري) الذي تقلَّد القضاء في الحرمين الشريفين بضع عشرة سنة، ومن الجدير بالذِّكْر أنَّه كان يجلس للفتوى بالمسجد الحرام، وعُرف بأنَّه فقيه عصره، وهذا اجتهاد لهما يدعمه؛ حيث عُرف بمكة المكرَّمة أفقه منه بين معاصريه، أخذتْه المَنِيَّة، وتُوفِّي سنة (351هـ/ 962م)[19].

وظهر أيضًا مُقرئ ومُحدث كان يُلقَّب بشيخ الحرم، وهو من أجل العلماء، كان يُدعى أبا يحيى محمد بن عبد الرحمن[20].

ومن أبرز علماء مكَّة المكرَّمة في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي الحافظ أبو القاسم سعد بن علي بن محمد الزَّنْجاني[21]، المتوفَّى سنةَ (471هـ / 1079م).

وهناك عالِم جليل يُعَدُّ من أبرز علماء مكَّة عُرف بأنَّه كان يُدرِّس السِّيَر والفقه والحديث، وهو أبو النصر محمد بن هبة الله البَنْدَنيجِي، فقيه الحَرَم، المتوفَّى سنةَ (495هـ / 1101م)[22].

---

[18] تقي الدين الفاسي: العِقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ج2، ص 98.

[19] تقي الدين الفاسي: العِقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ج2، ص 145 – 146.

[20] المصدر السابق، ج2، ص 102.

[21] انظر تاج الدين السُّبْكي (عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي) ت: 771هـ: طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الألو، دار إحياء الكتب العربية، د.ط، د.ت، ج4، ص 217، والذَّهَبِي: سِيَر أعْلام النُّبلاء، ج18، ص 386 وما بعدها، وأبو المحاسن: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج5، ص 108، وابن فهد: إتحاف الورى بأخبار أم القرى، ج2، ص 480.

[22] ابن كثير: البداية والنهاية، ج12، ص 162. انظر أيضًا ابن فهد: إتحاف الورَى

كما برَز بمكة المكرَّمة عددٌ كبير من المقرئين كان هدفهم الأسمى ترتيل القرآن جماعاتٍ وأفرادًا في المسجد الحرام عقِب أداء الصلاة مباشرةً؛ حيث كان أكثرهم من المجاورين، أشهرهم المقرئ أبو شامَة محمد بن القاسم الهَرَوي الذي تُوفِّي في مكَّة سنة (417هـ/ 1026م)[23]، والمُقرئ علي بن عبد الله بن محبوب الطرابُلسي المُتوفَّى سنةَ (521ه/ 1127م)[24].

وفي هذا الصَّدَد: يُشير السَّمْهُودي في كتابه (وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى) أنَّه وجَد بالمسجد النبوي عِدَّة مصاحف منسوخة بخط واضح مخزونة في خزائن من خشب الساج بين يدي المقصورة خلْف مقام النبي ^، كان الهدف الأسمى والجلي -إن جاز التعبير- من هذه الإشكاليَّة أن يقرأ فيها المقرئون عَقِب كل صلاة[25].

كما أشار المؤرِّخ المكِّي ابن فهد في كتابه (إتحاف الورى بأخبار أم القرى) أنَّه في سنة (550هـ/ 1155م) حضَر الموسم في مكَّة المكرَّمة لفيفٌ من العلماء المالكية والشافعية والحنفية، وكان مِن بينهم عمر المَقْدِسي المالكي، وجَعْدة العطَّار الشافعي، والشريف الغَزْنَوي الحَنَفي، وممَّا أدهشهم وراع أمرهم أنَّه قد راعَهم جميعًا ما شاهدوه من صلاة الأئمة الأربعة في صلاة المغرب في وقت واحد بالمسجد الحرام، وأنكروا جميعًا ذلك وعدُّوه عملًا غير شرْعي[26].

وتجدُر الإشارةُ إلى أنَّ هؤلاء العلماء كانت إقامتهم بمكَّة المكرَّمة والمدينة المنوَّرة، وكان يَطيب لهم في أوقات متفاوتة إلقاء الدروس العِلميَّة،

بأخبار أم القرى، ج2، ص490.

[23] ابن فهد: إتحاف الورى بأخبار أم القرى، ج2، ص 454.

[24] ابن فهد: المصدر السابق، ج2، ص 500.

[25] السَّمْهُودي: وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، ج2، ص 688.

[26] ابن فهد: إتحاف الورى بأخبار أم القرى، ج2، ص 518.

وتُطرح عليهم الأسئلة، فكانوا يجيبون عن أسئلة العامَّة والخاصَّة من أهل البلاد فضلًا عن إصدار بعض الفتاوى المُتعلِّقة بالشريعة الإسلاميَّة السَّمْحة الغرَّاء[27]. ومن اللافت للنظر أنَّ مجالسهم العِلميَّة وحلقاتهم الفقهيَّة كانت تُعقد في الغالب بعد انقضاء الصلوات، وخاصةً بعد صلاة العشاء والصبح[28].

ومن الواضِح أنَّ السبب الذي دفع هؤلاء العلماء الأجِلَّاء إلى إقامة والمكوث في مكَّة المكرَّمة والمدينة المنوَّرة ارتفاع درجة الحرارة وشدتها في إقليم الحِجاز عامَّةً ومكة المكرَّمة والمدينة المنوَّرة خاصَّة أثناء أوقات القيلولة.

وعلى أيَّة حال فإنَّ هذا لم يَحُلْ دون بروز بعض أفراد من مكَّة المكرَّمة؛ حيث كانت بيوتهم تُخصص في العناية والاهتمام بطلَب العِلم، وتتوارثه، ومن أبرز هذه البيوت (بيت الطَّبَري). ويُعَدُّ هؤلاء من علماء مكَّة المكرَّمة في القرنين الخامس والسادس الهجريين، فهم ينتمون إلى قبيلة قريش بمكَّة المكرَّمة[29]؛ حيث هاجر أجدادهم في العصر العباسي، ثم ما لبث بعد ذلك أنْ عاد الأحفاد إلى مكَّة في القرن الخامس الهجري.

ومن الجدير بالذِّكْر الإشارة إلى أنَّ أول من قَدِم منهم أبو معشر الطبري؛ حيث جلس للإقراء بمكَّة في عام 488هـ/ 1095م[30]. وبرز منهم وذاع صِيتُه في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، رضي الدين أبو بكر، ومن هذا المُنطلَق ظلَّ أحفاد هذا البيت يَخدِمون العِلم وكل مَن يتردَّد

---

[27] ابن فَهْد: إتحاف الورى بأخبار أم القرى، ج2، ص 518. انظر أيضًا تقي الدين الفاسي: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ج2، 245.

[28] الطَّبَري (محيي الدين عبد القادر بن محمد، ت: 1.33هـ): الأرج المسكي في التاريخ المكي، القاهرة، مخطوطة بدار الكتب المصرية، د.ط، تاريخ تيمون، ورقة 37. انظر أيضًا السَّمْهُودي: وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، ج2، ص 665.

[29] الطَّبَري: الأرج المسكي في التاريخ المكي، ورقة 49 وما بعدها.

[30] أحمد السباعي: تاريخ مكة، ج1، ص 198.

إلى طلب العلم في مكَّة المكرَّمة بعد ذلك[31].

وكان للنساء دورٌ بارزٌ في المجالس العِلميَّة؛ حيث كُنَّ يحضُرْنَ هذه المجالس، ويجلِسن في مكان بعيد عن الرجال، وكانت تُربط حبال بين الأساطين التي يقعد عندها النساء، فكُنَّ يَقعُدن دون المجالس في المسجد والرِّجال من وراء الحِبال.

ويبدو أن التعليم لم يكن خاصًّا بالمساجد فحسْبُ، فكثيرًا ما كانوا يُنشئون حلقات التدريس في البِيمارِسْتانات، أو الربط، أو المنازل، أو غيرها في مكَّة المكرَّمة والمدينة المنوَّرة، وخاصة في القرن السادس الهجري[32].

قائمة المصادر والمراجع:

- إبراهيم فرغل محمد: أخبار مكَّة لأبي الوليد الأزْرَقي دراسة تحليلية نقدية، د.م، د.ط، 1430هـ / 2009م
- ابن حَجَر العَسْقلاني (أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد)، ت: 852هـ: لسان الميزان، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ط2، 1390هـ / 1971م.
- ابن حَجَر العَسْقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار المعرفة، د.ط، 1379هـ.
- ابن فَهْد (نجم الدين عمر بن محمد الهاشمي القرشي، ت: 885هـ): إتحاف الوَرى بأخبار أُمِّ القرى، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، مكَّة المكرمة، جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، د.ط، 1403م.
- ابن كَثِير (الحافظ عماد الدين إسماعيل بن عمر، ت: 774هـ):

---

[31] المرجع نفسه، ج1، ص 198.

[32] عبد القدوس الأنصاري: تاريخ مدينة جدة، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط3، 1402هـ، ج1، ص 185.

البداية والنهاية، بيروت، دار صادر، ط6، 1985م.
- أحمد السِّباعي: تاريخ مكة، مكة، مطابع دار قريش، ط3، 1385هـ.
- تاج الدين السُّبْكي (عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي) ت: 771هـ: طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الألو، دار إحياء الكتب العربية، د.ط، د.ت.
- حسن أحمد محمود: العالم الإسلامي في العصر العباسي، بيروت، دار الفكر العربي، ط5، د.ت.
- السَّخاوي (الحافظ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن)، ت: 902هـ الإعلان بالتوبيخ لمن ذمَّ أهل التوريخ، تحقيق: سالم بن عنتر بن سالم الظفيري، الرياض، دار الصميعي، ط1، 1438هـ / 2017م.
- السَّمهُودي (نور الدين علي بن أحمد المصري ت 911هـ): وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، دار النهضة المصرية، د.ط، 1373هـ.
- شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، د.م، دار العلم للملايين، ط3، 1983م.
- الطَّبَري (محيي الدين عبد القادر بن محمد، ت: 1.33هـ): الأرج المسكي في التاريخ المكي، القاهرة، مخطوطة بدار الكتب المصرية، د.ط، تاريخ تيمون.
- الطَّبَري: الأرج المسكي في التاريخ المكي، ورقة 49 وما بعدها.
- عبد القدوس الأنصاري: تاريخ مدينة جدة، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط3، 1402هـ.
- عطية طه عبد العزيز إبراهيم: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في بلاد الحِجاز من القرن الثالث حتى منتصف القرن السادس الهجري،

القاهرة، جامعة القاهرة، كلية الآداب، د.ط، 1415هـ.

- محمد الخضري: تاريخ التشريع الإسلامي، القاهرة، المكتبة التجارية، د.ط، د.ت.
- محمد عبد الرحمن الطوالبة: الإمام مسلم ومنهجه في صحيحه، د.م، دار عمار، ط2، 2000م.
- محمد محمد أبو زهو: الحديث والمحدثون، د.م، دار الفكر، ط1، 1378هـ / 1985م.
- ناصر خِسرو (ناصر خسرو علوي الفارسي ت: 481هـ): سفرنامة، تحقيق: يحيى الخشاب، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، د.ط، 1945م.
- النَّوَوي (أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي)، ت: 676هـ: تهذيب الأسماء واللُّغَات، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت.

المواقع الإلكترونية:

- https://www.alukah.net/sharia
- http://www.hindawi.org/?trk=article-ssr-frontend-pulse_little-text-block
- https://shamela.ws/
- https://waqfeya.net/
- https://www.islamweb.net/ar/fatwa